MENA RESEARCH CENTER

مركز أبحاث ودراسات مينا

ذراع الإخوان المسلمين لتجنيد الفقراء

منظمة الإغاثة الإسلامية!

هوازن خداج

حقوق النشر والطبع ورقياً والكترونياً محفوظة لصالح مركز أبحاث ودراسات مينا.

الملخص التنفيذي:

استند الإخوان المسلمون منذ بداية تأسيسهم على يد حسن البنا، على فكرة رئيسية مفادها أن استعادة القوة تتطلب العودة للأصول واعتبار الدين الإسلامي نظاماً شاملاً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، وقانوناً ربّانياً، واستطاع الإخوان المسلمون من خلال منظماتهم الخيرية تحقيق الإدماج والتعبئة وخلق التعاضد الاقتصادي والسياسي معهم، حيث لقيت منظماتهم الخيرية وإحداها منظمة الإغاثة الإسلامية انتشاراً واسعاً وعمقاً، يتجاوز المفهوم الخيري الديني ومساعدة الفقراء، لتكون يد الإخوان المسلمين في تعبئة وتجنيد الفقراء.

تناقش هذه الورقة تلك القصية من خلال المحاور التالية:

- **منظمة الإغاثة الإسلامية التأسيس والانتشار**
- **نشاط جماعة الإخوان المسلمين من خلال منظمة الإغاثة الإنسانية**
- **منظمة الإغاثة الإنسانية واستراتيجية الإخوان المسلمين!**
- **منظمة الإغاثة الإسلامية ضمن دائرة الإرهاب!**
- **النتيجة**

منظمة الإغاثة الإسلامية التأسيس والانتشار

إثـر معاقبـة تنظيـم الإخـوان المسـلمين فـي مصـر وغيرهـا مـن الـدول العربيـة وسـجن ونفـي أعضائهـا؛ وتبعثرهـم فـي دول متعـددة بـدأ الإخـوان برسـم مسـار تأقلماتهـم مـع البيئـات الجديـدة فـي اسـتراتيجية البقـاء، ويردّهـا بعـض الباحثيـن إلـى العـام ١٩٥٨ حيـن قـدِم سـعيد رمضـان، السـكرتير الشـخصي لمؤسـس جماعـة الإخـوان المسـلمين حسـن البنـا وزوج ابنتـه، هارباً مـن مصـر إبـان الحكـم الناصـري، حيـث اسـتقر رمضـان فـي ميونيـخ، وتولـى إدارة المركـز الإسـلامي هنـاك، ثـم انتقـل إلـى جنيـف وأسـس المركـز الإسـلامي هنـاك فـي عـام ١٩٦١.[١]

ومـع توالـي القادميـن إلـى أوروبـا مـن الإخـوان بـدأ العمـل المؤسسـي يسـتند إلـى تقديـم المسـاعدة للهاربيـن مـن الاضطهـاد مـن العالـم العربـي، وتوفيـر بيئـة حاضنـة لهـم وللمسـلمين الآخريـن، يتمكنـون فيهـا مـن المحافظـة علـى أنفسـهم ودينهـم فـي بيئـة مختلفـة، مـن خـلال مراكـز وجمعيـات مختلفـة، منهـا لتعليـم اللغـة والثقافـة الدينيـة، ولحـث المسـلمون للاندمـاج فـي المجتمعـات، دون التخلـي عـن الهـدف الأسـاس فـي إعـلاء الوظيفـة الانتمائيـة الدينيـة، وإنشـاء نظـام معرفـي يقـوم علـى الديـن الإسـلامي ومـن خلالـه، الـذي بـدأ يظهـر لاحقـاً مـع تطـور أسـلوبهم في ترسـيخ أدبياتهـم فـي البلـدان المضيفـة، وتطويـر أهدافهـم المرتبطـة بتطـور وضـع الأقليـة الإسـلامية، **مثـلاً نقـل موقـع «إخـوان ويكـي» عـن محضـر اجتمـاع « لجنـة الدعـوة والجاليـات» فـي بريطانيـا بتاريـخ ١٩٨٤/٥/٢٦ أهـداف اللجنـة وهـي لجنـة تمثـل البعـد الحركـي للإخـوان، وتجلـت أهـم الأهـداف فـي خلـق تيـار بيـن المسـلمين المقيميـن فـي بريطانيـا للضغـط علـى الحكومـة البريطانيـة للاعتـراف بالإسـلام كديـن رسـمي فـي هـذا البلـد. نشـر الفقـه الإسـلامي بيـن الجاليـات. إيجـاد نـوادٍ للشـباب، واسـتحداث أنشـطة تواكـب تطـورات العصـر لجذبهـم إليهـا.**[٢]

وباشـر الإخـوان فـي بنـاء مؤسسـاتهم المختلفـة وتجميـع جهودهـم ومـدّ الجسـور مـع المؤسسـات الأوروبيـة لتثبيـت وتقويـة وضـع المسـلمين فـي أوروبـا ومنهـا منظمـة الإغاثـة الإسـلامية العالميـة (IRW) التـي أسسـها هانـي البنـا فـي العـام ١٩٨٤ فـي برمنغهـام «كمؤسسـة خيريـة دوليـة للإغاثـة والتنميـة» ومـع تأسـيس اتحـاد المنظمـات الأوروبيـة فـي العـام ١٩٨٩ جـرى ضـم أكثـر مـن ١٠٠٠ اتحـاد وجمعيـة ومركـز يعملـون فـي اتجاهـات مختلفـة ومنهـا منظمـة الإغاثـة، حيـث تمتـع هانـي البنـا هـو وكبـار المسـؤولين فـي المنظمـة، بعلاقـات مـع رؤسـاء الـدول والـوزراء وكبـار موظفـي الخدمـات المدنيـة ومـع وسـائل الإعـلام فـي الـدول المتواجـدة فيهـا، بالإضافـة إلـى تواجدهـا الأكيـد علـى أجنـدة سياسـة المسـاعدات الدوليـة والأمـم المتحـدة. أصبحـت هيئـة الإغاثـة الإسـلامية عضـواً فـي لجنـة (Disasters Emergency Committee) التـي تـوزع الأمـوال، وتمتلـك هيئـة الإغاثـة الإسـلامية عـدة مكاتـب منتشـرة فـي جميـع أنحـاء العالـم.[٣]

---

١ الإخوان المسلمون في أوروبا: تاريخ طويل ومستقبل ضبابي

٢ الإخوان في أوروبا ومسيرة المراجعات.. بريطانيا نموذجا

٣ منظمة الإغاثة الإسلامية في بريطانيا .. تأجيج العنصرية وتعزيز للتطرف المركز الاوروبي

نشاط جماعة الإخوان المسلمين من خلال منظمة الإغاثة الإنسانية

منذ تلقت أول تبرع لها في عام ١٩٨٤,[٤] بدأت بمدّ شبكتها العالمية، وأنشأت العديد من المراكز في دول مختلفة أوروبية وعربية وإسلامية.

حيث بدأت الإغاثة الإسلامية العمل في أفغانستان عام ١٩٩٢، في عدد من المجالات، منها توفير الغذاء (من خلال العمل مع برنامج الأغذية العالمي) والمياه والصرف الصحي إلى التعليم ودعم الأيتام، والبرامج الموسمية كتوزيع المساعدات الغذائية في رمضان والأضاحي.[٥]

ونتيجة نشاط قادتها وأفرادها تحولت منظمة الإغاثة لتصبح أول جمعية خيرية إسلامية متخصصة، تحصل على تمويل من الحكومة البريطانية لمشاريع في القارة الإفريقية عام ١٩٩٤، واستطاعت خلال فترة وجيزة الامتداد إلى نحو ٤٨ دولة عبر العالم، وأسست مراكز ضمن أهداف مختلفة حسب حاجة البلدان.

مثلاً: بدأت عملها في **الأردن في عام ١٩٩٧** من خلال برنامج كفالة الأيتام، وتقديم المشاريع الموسمية.[٦]

وفي **فلسطين أنشأت مركزها عام ١٩٩٨** بهدف التقليل من وطأة الظروف الصعبة التي تمرّ بها الأراضي الفلسطينية والمساهمة في تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية مستدامة. من خلال ثلاثة برامج أساسية وهي: برنامج المشاريع الإنسانية وبرنامج التنمية المجتمعية وبرنامج رعاية الطفولة والتعليم.[٧]

وكذلك في اليمن تعمل الإغاثة الإسلامية مع المجتمعات **المحلية منذ عام ١٩٩٨**، في تنفيذ برامج موسمية تشمل توزيع المواد الغذائية في رمضان. وافتتحت **مكتبها الدائم في بغداد** في عام ٢٠٠٣، لتعمل إلى جانب المجتمعات المحلية لتقديم مساعدات فورية مثل المساعدات الغذائية الطارئة والمعدات الصحية، فضلًا عن تقديم دعم صحي ونفسي.[٨]

وعقب اشتعال الحرب في سورية وتقسيم المناطق بين النظام والمعارضة، افتتحت العديد من المراكز في مناطق سيطرة المعارضة وفي المناطق التركية التي لجأ إليها السوريون وتعتبر مكاناً لنشاط الإخوان المسلمين والفصائل المتشددة.

وبهذا استطاعت المنظمة اختراق وتأسيس نشاطها في كافة المناطق الصراعية عربية أو إسلامية كالشيشان.

أما في أوروبا فقد انتهجوا مبدأ يتماشى مع طرق الإخوان في عدم لفت الأنظار إليهم، فرغم

---

٤ الاغاثة الاسلامية

٥ الاغاثة الاسلامية أفغانستان

٦ الاغاثة الاسلامية الاردن

٧ الاغاثة الاسلامية فلسطين

٨ الاغاثة الاسلامية العراق

تحفظهم على مسألة الاندماج والانفتاح على المجتمعات المضيفة وقوننته بالانفتاح دون ذوبان، استطاعوا تأسيس خطاب يوافقهم باعتبار انفتاحهم هو انفتاح صاحب الدعوة الذي يريد أن يفعل ويؤثر، لا المقلِّد المستسلم الذي غدا كل همّه أن يساير ويتأثر.

واتبعوا منهج التوفيق بين المجتمعات المضيفة وبين ما يصرحون به حول رعاية الأقلية المسلمة وضرورة المواطنة الإسلامية، وهو الخطاب العلني الذي مدّهم بمزيد من الدعم وسهل لهم تحقيق المزيد من التعاون مع الجهات الرسمية.

فعندما تحاول الحكومات أو وسائل الإعلام الغربية التواصل مع الجّاليات المسلمة، فإن المؤسسات أو الأفراد الذين ينشطون لتمثيل هذه الجاليات والتحدث باسمها؛ يكونون ضمن شبكة الإخوان المسلمين في الغرب.

ورغم العلاقة المكشوفة لقادتها مع الإخوان المسلمين خلال الفترة الماضية؛ إلا أنها لم تلفت النظر إليها باعتبارها خطراً، وهذا ما سمح لها بالنمو وزيادة الدعم لها كأحد المنظمات الإنسانية الفاعلة حيث تشير التقديرات إلى أن هيئة الإغاثة الإسلامية؛ تجمع من حملتها السنوية في رمضان في بريطانيا أكثر من (١٠) ملايين جنيه إسترليني سنويًا. وقُدّرت موارد هيئة الإغاثة الإسلامية بحوالي (٥٧٠) مليون جنيه إسترليني، تشمل عدة تبرعات كتبرعات الأمم المتحدة وبريطانيا والاتحاد الأوروبي. وتحصل على تمويلها من مزيج من الهبات الفردية والأعمال التجارية ومن الحكومة ودافعي الضرائب. [٩]

منظمة الإغاثة واستراتيجية الإخوان

شرعت الإغاثة الإسلامية بتنفيذ هذه البرامج الإنسانية بهدف مساعدة المحتاجين، متبنية المنهج الأساسي للإخوان القائم على استعادة القوة والسيطرة والعودة للأصول **من خلال استراتيجيتهم المتكاملة القائمة على ثلاث اتجاهات: الامتداد في المجتمع وحثّه على التمسك بالدين ورفض ما هو دخيل «تقويم المجتمع»، واعتماد الاقتصاد الإسلامي «التكافلي» كنظام اقتصادي ناجح، والدفع باتجاه الاستقرار السياسي من خلال العمل بمقتضيات الشريعة، «الحوكمة» باعتبارها القوة الشرعية الضامنة لحكمهم.**

وقد تبنت الاتجاهين الأولين لتترك الاستقرار السياسي لمراحل لاحقة، فمسألة تقويم المجتمع ورفض ما هو دخيل؛ تعتبر ضمن أهدافها سواء شرقاً أم غرباً، لبناء جماعة إسلامية متماسكة، وفي تطبيق النظام التكافلي واقتصاد الصدقة فقد اختلف نهجها بين الغرب والشرق، فبينما جنت الأموال كمنظمة مرخصة في الدول الأوروبية وأمريكا من الحكومات وبعض صدقات المسلمين المقيمين فيها، خصصت أموال الصدقات وجمع التبرعات من المسلمين في دولهم بحسب ما يظهره موقع المنظمة، وإعلانات جمع المال في صفحات التبرعات سواء لمساعدة المحتاجين أو لبناء المساجد، حيث يذكر الموقع بأكثر من صفحة «**لن ينسَ الله خيراً قدّمته ولا همّاً فرّجته ولا جسداً منهكاً منحته الدفء والأمان بادر بعطائك الآن**».

---

٩ منظمة الإغاثة الإسلامية في بريطانيا .. تأجيج العنصرية وتعزيز للتطرف

هذه الصيغة التي لا تخرج عن اعتبار الصدقة وعداً بالجنة «**بيع صكوك للجنة**» وأساس في «**اقتصاد الخلاص**» كونها خرجت من قاعدة المعنى الروحي للصدقة والمساعدة التكافلية التي يقدمها أبناء المجتمع نفسه للمحتاجين دون وساطة أو واسطة، وخرجت عن قاعدة «حدّ الكفاف» التي لا تغني أو تسمن، لتزيد مدخراتها المادية والبشرية، القائمة على «اقتصاد الخلاص» الذي لا ينتشل الفقراء إنما يدخل الأغنياء إلى الجنة.

وتبعا للنهج الإخواني وأساليب انتشارهم القديمة، تحولت هذه المنظمة مكاناً لاستقطاب الفقراء نتيجة حاجتهم لما يسدّ رمقهم وكسب ولائهم لها ومن ثم للفكر الإخواني، الذي لم يكفّ عن النشاط ولم يغيّر نهجه في بناء أمة للمسلمين؛ تطبق الفقه كقانون وسياسة وتنشد عودة الخلافة، وهو ما كشفته ثورات الربيع العربي وخصوصاً في منبعهم مصر أثناء زعامة محمد مرسي، حيث أسقطت غطاء الإخوان الزائف بإمكانية اشتراكهم بالسياسات الديمقراطية، أو حقيقة تبنيهم لأيديولوجية وسطية، أو اتباعها مبدأ اللاعنف، فهذه لم تكن سوى معدات الطمأنة للحكومات الغربية، ومن معدات الحفاظ على وجودها عقب نمو حركات التطرف التي اتبعت أقصى العنف.

الإغاثة الإسلامية ضمن دائرة الارهاب

لفتت منظمة الإغاثة الإسلامية نظر العالم بعد أن أيقظت الإمارات العالم وصنّفتها كمنظمة تمول الإرهاب منذ ٢٠٠٥، واتهمتها السلطات الروسية بدعم الإرهاب في الشيشان.

وفي سنة ٢٠١٢، أغلق العملاق المصرفي السويسري «يو بي أس» حسابات الإغاثة! وفرض حظراً على الهبات القادمة إليها من زبائنها خوفاً من التقارير حول تمويلها للإرهاب. وقام مصرف «أتش أس بي سي» بالأمر نفسه سنة ٢٠١٦. كما وضعت إسرائيل هذه المنظمة في العام ٢٠١٥ على لائحة تمويل الإرهاب في قطاع غزة كونها تمول منظمات على علاقة وثيقة بحماس. مثلاً، قامت الإغاثة الإسلامية البريطانية بتمويل مشروع لجمعية الفلاح الخيرية التي يديرها مسؤولان بارزان في حماس، «رمضان طنبورة» «وجمال حمدي الحداد». ويدير الأخير برنامجاً لحماس باللغة العبرية موجهاً للفلسطينيين معروف باسم «اعرف عدوك».

لتبدأ عدة دول في التدقيق بنشاطات الجمعية الدولية، وأشارت تقارير إلى أنّ محققي أف بي آي وخدمة الإيرادات الداخلية ومكتب إدارة شؤون الموظفين جمعوا أدلّة جُرمية مرتبطة بالإغاثة الإسلامية سنة ٢٠١٦. وتحولت لموضع تحقيقات واسعة منذ ٢٠١٨، وكذلك علاقتها مع موالين لـ (بن لادن) مثل الجمعية الخيرية للرفاه الاجتماعي والتشبيك معهم في جمع أموال الزكاة.[١٠]

وبالتالي تحولت منظمة الإغاثة إلى منظمة تحت الرقابة الدولية، وتصاعدت التدقيقات وكذلك الاحتجاجات على وجودها ودعمها في العديد من الدول الأوروبية؛ التي بدأت في مراجعة نشاطها وانتشارها وأموالها وكيفية صرفها على دعم الإرهاب، رغم المراوغات المختلفة التي تمارسها المنظمة بوضعها قائمة للأعمال الإنسانية لتغطية دعمها للإخوان أو لأي جماعة متطرفة تحمل فكرهم.

---

١٠ كيف ساهمت الإمارات في تنبيه العالم إلى خطر الإغاثة الإسلامية؟

النتيجة

رغم انقضاء قرابة قرن على تأسيس جماعة الإخوان على استراتيجية واحدة؛ أساسها تحقيق هيمنة سياسية في إيجاد أنظمة سياسية مستقرة تقوم على الدين الإسلامي لخدمة مصالحها، لكنها ما تزال تراوغ عبر مجموعة جديدة ومعقّدة من أساليب عملها لتقوية نفسها بشرياً ومادياً، ولضمان توسعها مستغلة الأفكار الإنسانية ومساعدة الفقراء الذين لم يجدوا من ينجدهم، واحتاجوا لاحتيال منظمة الإغاثة وغيرها من الجمعيات التي تقايض الجوع بمدّ فكرها.

MENA RESEARCH CENTER

مركز أبحاث ودراسات مينا